الرَّوابطُ الحِجاجِيَّةُ فِي الخُطْبَةِ الفَدَكِيَّةِ للسَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ (عَلَيْهَا السَّلامُ)

أ. م. د. عليّ عبّاس عليوي الأعرجيّ

مركز دراسات الكوفة/جامعة الكوفة

197866ali@gmail.com

ملخص:

إنّ الحجاج مرتبط بالخطابة الإقناعية، والدراسات المهتمّة بتحليل الخطاب والذي يدخل في مجال البحوث التي تسعى لاكتشاف منطق اللّغة ومنطق ذلك الخطاب، سعيًا إلى اكتشاف القواعد الداخلية له، والمتحكّمة في تسلسل الأقوال والجمل وتتابعها بشكل متنامٍ وتدريجي، ونحن هنا في مقام تجنيد أدوات البحث الحجاجي؛ للبحث في دقيقة من دقائق لا متناهية في شخصية السيّدة الزهراء، وحتّى نجنح في البحث إلى سبيل الموضوعية البعيدة عن المرجعية العقائدية التي تقطن نفس الباحث؛ وحتّى لا تكون هذه المرجعية طاغية بشكل يهمّش الحقائق اللّغوية والخطابية الناتجة عنها، في فكر السيدة الزهراء. انبنى البحث على مبحثين، كان الأوّل منهما: رابطا التعارض والعطف، والمبحث الثاني لرابطي التساوق والتعليل.

الكلمات المفتاحية: روابط لغوية، خطبة الزهراء، محاججة لغوية، الارسطي، فدك

Abstract

The pilgrims linked rhetoric persuasive, and studies concerned with analyzing the speech, which enters in the field of research that seeks to discover the logic of language and logic of that speech .. seeking to discover the internal rules for him, and controlling the sequence of words and sentences and followed up by a growing and progressive.Even Ngenh in the search to the way distant objective for ideological reference inhabiting the same researcher; so this reference is not a tyrant is marginalizes linguistic and rhetorical facts resulting in the thought of Mrs. Zahra (peace be upon her.Research was based on two sections, the first of them: the link conflict and affection, and the second topic of Rabotta consistency and reasoning, after the mix of the four links in the converging between them.

keyword: linguistic Links.Sermon AL-Zahraa . linguistic argument AL-Aristotelian. Fadak.

أولا: خطبة الزهراء (عليها السَّلام)

الامتداد، التاريخ

خطبة السَّيّدة الطاهرة فاطمة الزهراء "عليها السّلام"، المعروفة بالخطبة الفدكيَّة، خطبة عصماء، خطبتها في مسجد النبيّ(صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وأبدت فيها اعتراضها على ابن أبي قُحافة، الذي انتزع فدكًا منها، وقد طالبتْ بها احتجاجًا على سلْب حقِّها، وصرَّحت بأنّ فدكًا ملكٌ لها، والتي رواها أعلامُ الرواة من العامَّة والخاصَّة، وزيَّنوا كتبهم بحلية نقلها، مثل فتوح البلدان:٣٥/١، وعمدة الأخبار:٣٩٤، ومعجم البلدان:٢٣٨/٤.. وسمّيتْ هذه الخطبة أيضًا بخُطبة اللمَّة؛ لأنَّ السيدة الزهراء عندما عزمتِ الخُروج لتلك التَّظاهُرة التي توخَّتِ منها إقامة الحُجَّة والدَّليل على أحقَّيَّتها المشروعة، وظُلامة أبي بكرٍ لها، خرجتْ بلُمّةٍ مِن نساء قومها؛ لتسترجع فدكًا لملكيَّتها التي سنَّها كتاب الله في مواضع عدَّة لا يمكن أن تستثني الزَّهراءَ منها ولاسيَّما أنَّها أولى بأنْ تسْعى لتأكيد ما نزل على أَبيها، والحرص على تثبيته ، وعدم التَّغافُل عنه، متجاوزةً حُججَ أبي بكر التي كان إحداها زعمُه بأنَّه سمع رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) يقول: بأنَّ الأنبياء مُستثنونَ منَ التَّوريث.

ثانيًا: الحِجاجُ والخطبة الفدكيَّة

لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ الحِجاج له جذور كلاسيكيَّة قديمة منذُ التصوُّرات الحِجاجيَّة الأرسطيَّة التي تنظر إليه على أنَّه منتمٍ إلى البلاغة القديمة، تلك التي تتبنّى فكرة كون المنطق من ألزم العلوم للخطابة[١]، وهو أمرٌ لا بدَّ أن يمرَّ به أيُّ باحث يدرس ما له علاقة بالبلاغة والإقناع والحجاج والمناظرة، وللحجاج – أيضاً– تصوراتٍ حديثة تُعدُّ الحجاج منتميًا للبلاغة الحديثة . تلك التي يتبنَّاها كلٌ من شاييم بيرلمان، وأولبريخت، تيتيكا، وميشيل ماييير. أو منتميًا إلى المنطق الطَّبيعيّ(جان بليز غريز)[٢]، إلَّا أنَّ اختلافًا يقع بين مقوِّمات الإقناع الخطبيّ الذي حدَّده أرسطو وبين الإقناعينِ؛ البرهانيّ والجدليّ[٣]؛ أمَّا كونه قد أقرَّ في مقدِّمة مصنَّفه أنَّ(الخطابة تناسب الجدلَ؛ لأنَّ كليهما يتناول أمورًا تدخل . في نحوٍ ما. في نطاق معرفة النَّاس جميعًا، وأنَّهما ليسا مقْصورين على علمٍ خاصّ بعينِه)[٤]؛ فهذا يعْني تقاربهما الحجاجيَّ لأنهما(قوَّتان لإنتاج الحجج)[٥]، هدفهما بناء الاعتقاد ألَّا أنَّ الأولويَّة في الجدل تتعلَّق بفحص المحمول واختباره، ومن ثَمَّ فهو مقصور على الاستدلال في المناقشة الفكريَّة، وفي المقابل يرتبط موضوع الخطابة بمجال القِيَم، وأغراض تحريك الفعل وتوجيه الجُمهور[٦]، على اعتبار أنَّ الخطابة في الرؤية الأرسطيَّة تتوخَّى(إنتاج قول عمومي يخدم القيم التي ينبغي أن يقومَ عليها المُجتمعُ الإنسانيُ)[٧]، وهو تصوُّرٌ للخطابة من جانب أخلاقيّ – كما نعلم – له علاقة بالتَّعامُل الإنسانيّ وبناء المجتمع على وفق القِيم السَّامِيَةِ؛ ولعلَّ ما قاد الباحث إلى استشراف رأي أرسطو في قضيَّة الخطابة بأنَّه يروم التَّقديم إلى كون الخطبة الفدكيَّة من الخطب التي انضوت تحتها قواعد كلِّيَّة تندرج تحتها جزئيَّات، وهي في جملتها كانت مجموعة من الحجج والمقدِّمات التي أدلت بها السَّيِّدة الزَّهراء؛ بهدف إثبات ما عزم القوم على إزاحته من المعتمد الذي جاهد الرَّسول(صلوات الله عليه وعلى آله) في إثباته وتقريره وإرساء دعائمه على مدى ثلاثة وعشرين عامًا، على وفق ما سنَّته الشَّريعة الإسلاميَّة، وأثبته الكتاب المنزل عليه ودفاعًا منها . عليها السَّلام . ضدَّ موجة (التَّأويل) التي استُحدِثَتْ؛ لغرض تمرير بعض الأهداف والمطامح السياسيَّة التي استغلَّت غياب الرَّسول(صلَّى الله عليه وآله) وتغييب دور الوصاية الموكَّلة بالإمام عليّ (عليه السلام)؛ فكانت مجموعة منَ الحُجج والمقدِّمات التي قصدت بها صاحبة الخطبة دحضَ الحُجج المقابِلَة للطَّرف الآخر، وإقناع المستمع بحجِّيَّة القول بأحقَّيتها في فدك، وبما أنَّ كلَّ نصّ حِجاجيّ لا يمكن تمييزه إلَّا بالوسائل اللغويَّة والمنطقيَّة وهي سَداهُ ولحمته، كانتِ اللغة الأداة اللفظيَّة لنقل المعنى أو النَّتيجة في كلِّ قياسٍ منطقيّ[٨]، ونحن حين نقرن الوسائل المنطقيَّة إلى جانب الوسائل اللغويَّة؛ فلأنَّ الضَّامن الذي يضمن الرَّبط بين الحجَّة والنَّتيجة لا يتوقَّف على وُجود الرَّوابط والعوامل الحجاجيَّة؛ لكي يضمن تحقّق سلامة العمليَّة الحِجاجيَّة، بلْ لا بدَّ من تقابل مسلَّمات

١ . ينظر: بلاغة الاقناع والمناظرة: ٥٣.
٢ . ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته: ١/ ٥٦.
٣ . ينظر: بلاغة الاقناع والمناظرة: ٥٣.
٤ . فن الخطابة، ترجمة بدوي، ط٢، ١٩٨٦م: ٢٣.
٥ . المصدر نفسه: ٣١.
٦ . بلاغة الاقناع: ٥٣.
٧ . الحجاج عند أرسطو، هشام ريفي: ٢٦٨.
٨ . ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته، د. حافظ اسماعيلي علوي: ٤/ ٣١، عالم الكتب الحديث، اربد الاردن، ٢٠١٠.

الاستنتاج المنطقيّ في المنطق الصُوريّ أو الرِّياضيّ وهي قواعد تجعل حِجاجًا ما خاصًّا ممكنًا[١]، وهو ممّا لم تعدم منه الخطبة الفدكيَّة بما توافرت عليه من مبادىء حجاجيَّة عضَّدت دور الخطبة الحجاجيّ كالعُموميَّة والتَّدرجيَّة والنِّسبيَّة.

أمَّا(الحجاج في اللغة)؛ فإنَّه يتعارض مع كثير من النَّظريَّات والتصوُّرات الحِجاجيَّة التي أشرنا إليها آنفًا وهو نظريَّة وضع أُسسها اللغويُّ الفرنسيُّ ديكرو(o. ducrot) منذُ سنة ١٩٧٣م، نظريَّة لسانيَّة تهتمُّ بالوسائل اللغويَّة وبإمكانات اللغة الطَّبيعيَّة التي يتوافر عليها المتكلم بقصد توجيه الخِطاب وجهةً ما[٢]، مُنطلقة من داخل نظريَّة أوستين في الأفعال الكلاميَّة؛ إذ قام ديكرو بتطوير أفكار أُوستين بالخصوص مُضيفًا إلى الإطار الجديد(الحجاج في اللغة)، فِعلينِ لُغويينِ هما(فعل الاقتضاء وفعل الحجاج)؛ وبذلك تكون نظريَّة الحجاج في اللغة مستندةً بحسب ديكرو إلى أنَّ الحجاج مؤسَّسٌ على بنية الأقوال اللغويَّة، وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب، وهنا يبرز أثر عدد كبير من الروابط التي تتضمَّنها اللغة والتي لا يمكن تعريفها إلَّا بما يضفيه عليها القصد الحجاجيُّ من قيمة حجاجيَّة، وهي كثيرة مثل: بَلْ، لَكِنْ، حتَّى، إذنْ، إذْ، لا سِيَما، لأنَّ، بمَا أنَّ، ربَّما، مَعَ ذلِكَ.....

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ موقِفَ الزَّهراء في خطبتها قدِ استند إلى وسائل حجاجيَّة متنوّعة لغرض المُحاججة بأحقَّيَّتها، ممَّا كان له أثره في توجيه تلك الخطبة حِجاجيًّا وتسلسل الأقوال فيها مجموعة من الروابط الحجاجية الرئيسة التي تربط الحجج بعضها مع بعض، ومع نتائجها في النَّصّ، استنادًا إلى كون الحجاج ممارسة قوامها ثلاثة مكونات كُبرى: هي المكوّن السِّياقيُّ/ الثَّقافيُّ، والمكوّن المنطقيُّ، والمكوّن اللغويُّ[٣].

وبحُسبان ما سبق؛ تعدَّدت أدوات الرَّبط لتبيان تلك القواعد الكليَّة التي تضمنتها الخطبة الفدكية؛ فالكلام كلَّما كان مكثَّفًا كثرت أدوات الرَّبط فيه، وإهمالها يمكن أن يجعل من النصّ ممزَّقًا غير مترابط، وحينها يفقد جماله وتأثيره الإقناعيّ، وهي عمليَّة تتوقَّف على القول الذي يجب بناؤه حجاجيًّا والعمل على تعبئته بالأدلَّة القادرة على إقامة الاعتقادات أو تغْييرها؛ لأنَّ الإقناع كما أكَّد أرسطو (يحدث عن الكلام نفسه إذا أثبتنا حقيقة أو شبه حقيقة بواسطة حجج مقنعة مناسبة للحالة المطلوبة)[٤]، علمًا أنَّه لا يلغي أثر المقوّمات السياقيَّة والأسلوبيَّة المُحيطة بالفعاليَّة التَّأثيريَّة للقول؛ لأنَّ "النَّسيج القضويّ"،المضمون، وحده لا يبْني الإقناع؛ بلْ إنَّ جماليَّة القول خادمة للغاية نفسها، وهكذا يتبدَّى لنا أنَّ الإقناع عند أرسطو يتأتَّى بتَضافر أركان ثلاثة، هي: اللوغوس؛ أي القول بما هو فكر، والأخلاق؛ أخلاق القائل، والانفعال؛ انفعال المقول له، المتلقّي[٥]؛ وكلّها قد توافرت في الخطبة الفدكيَّة إلَّا أنَّ اشتغال البحث كان في كيفيَّة استعمال السَّيِّدة الزهراء لمؤشِّر مهمّ من مؤشِّرات العمليَّة الحِجاجيَّة وهي مسألة متعلِّقة باللغة وتلك هي الرَّوابط الحِجاجيَّة.

الرَّوابطُ الحِجاجيَّة

تعدُّ النَّظريَّة الحِجاجيَّة في اللغة، التي صاغها ديكرو وزميلُه في إطار التَّداوليَّة المُدمجة جزءًا من النَّظريَّة الدَّلاليَّة، وتعدُّ الرَّوابط الحِجاجيَّة من جوانبها المهمة التي تتمثَّل في أبنية اللغة التي من شأنها أن تُحدث تلاؤمًا وانسجامًا بين الجمل والتَّراكيب وصولًا إلى ذلك الانسجام الذي ينتج الخطاب.

---

١ . ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته: ١/ ٦٥.

٢ . ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٥٦.

٣ . ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته: ١/ ٧٦.

٤ . فن الخطابة: ٣٠.٣١.

٥ . الحجاج عند أرسطو: ٢٦٥.

ولعلَّ اللغة في كونها المسؤولة عن ترتيب الأقوال والأفكار والمعاني بما تمتلكه من أدوات وإمكانات؛ هو ما جعل ديكرو ينظر إليها متصوِّرًا الأقوال التي تتضمَّنها وكيف ترتبط بعضها مع بعض؛ لتنتج طاقة حِجاجيَّة لا يمكن تمييزها بدون مساعدة اللغة، ولكون موضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمَّنه القول من قوة حجاجية تمثِّل مُكوِّنًا أَساسيًّا لا ينفصل عن معناه، هو ما يجعل المتكلِّم في اللحظة التي يتكلَّم فيها يوجه قوله وجهة حجاجيَّة معيَّنة[١]، وأن يوجِّه المتكلِّم قوله ما يعني وجود القصديَّة في توجيه اللغة لذلك الغرض الذي ينزع إلى الإقناع والتَّأثير.

وعليه تُعدُّ الروابط الحجاجيَّة المؤشِّر البارز على كون الحجاج متضمنًّا في بِنية اللغة نفسها، ولم تعدَّ مجرَّد أدواتٍ وظيفتُها الرَّبط بين الجمل والقضايا فحسب، بلْ أصبحتْ ذات أساسٍ في اتِّساق النَّصِّ وانسجامه، وربط أجزائه شكلًا ومضمونًا من أجل تحقيق الوظيفة التَّوجيهيَّة الحجاجيَّة للملفوظات[٢].

إلَّا أنَّه ينبغي التَّمييز بين ما يسمَّى بـ(الرَّوابط الحِجاجيَّة)، وما يسمَّى بـ(العوامل الحجاجيَّة)؛ فالرَّوابط تربط بين قولين، أو بين حجَّتينِ لُغويتينِ، وتُسند لكلِّ واحدة منها مهمة محددة داخل الاستراتيجيَّة الحجاجيَّة العامَّة، وهي مثل: بلْ، لكِنْ، حتَّى، لا سِيما، إذنْ، لأنَّ، بما أنَّ، إذْ...، أمَّا العوامل الحجاجيَّة؛ فهي لا تربط بين متغيِّرات حجاجيَّة، أي بين حُجَّةٍ ونتيجة أو بين مجموعة من الحُجج، ولكنَّها تقوم بحصر الإمكانات الحجاجيَّة، وتقييدها لقولٍ ما، وتضمُّ مقولة العوامل أدواتٍ من قبيل: رُبَّما، تقْريبًا، كادَ، قَليلًا، كَثيرًا، مَا، إلَّا، وجلّ أدوات الحصر[٣]؛ لذلك أشار شكري المبخوت إلى تنوّع أشكال الرَّبط الحجاجيّ،(إذا كانتِ الوجهة الحجاجيَّة محدَّدة بالبنية اللغويَّة؛ فإنَّها تبرز في مكوِّنات ومستويات مختلفة من هذه البنية؛ فبعض هذه المكوِّنات يتعلَّق بمجموع الجملة؛ أي هو عامل حجاجيٌّ في عبارة ديكرو؛ فيقيِّدها بعد أن يتمَّ الإسناد فيها، ومن هذا النوع نجد النَّفي والاستثناء المفرِّغ، والشَّرط، والجزاء، وما إلى ذلك ممَّا يغيِّر قوَّة الجملة دون محتواها الخبر، ونجد مكوِّنات أخرى ذات خصائص معجميَّة محددة تؤثِّر في التَّعليق النَّحويّ، وتتوزَّع في مواضع بمختلف معانيها، والأسوار(بعض، كلّ، جميع)، وما اتَّصل بوظائف نحويَّةٍ مخصوصة كحرف التَّقليل، أو ما تخوض لوظيفة من الوظائف مثل: قطّ، وأبدًا)[٤].

وعليه؛ (فالروابط الحجاجيَّة تربط بين قولين أو بين حُجَّتين على الأصحِّ أو أكثر، وتسند لكلِّ قول دورًا مُحدَّدًا داخل الاستراتيجيَّة الحجاجيَّة العامَّة)[٥]، وهي تُسهم في انسجام الخطاب وتماسكه بربطها بين القيمة الحجاجيَّة لقولٍ ما والنتيجة؛ أي الرَّبط بين قضيَّتينِ وترتيب أجزاء القول، ومنحها القوَّة المطلوبة بوصف هذه الأشياء حُججًا في الخطاب[٦].

وفي ميدان بحثنا(الخطبة الفدكيَّة) للسيِّدة الزَّهراء(عليها وعلى آلها أفضل الصَّلاة والسَّلام)، تنوَّعت مظاهر الرَّوابط الحِجاجيَّة فيها، وسيكون التَّطبيق وِفاقًا للأُطر المذكورة آنفًا، وعلى النَّحو الآتي:

١. روابط التَّعارض الحجاجيّ.

---

١ . نظرية الحجاج في اللغة: ٣٥٢.

٢ . ينظر: رسائل الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة . دراسة حجاجية: ٩٣، ٩٤.

٣ . ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته: ١/ ٦٣.

٤ . ينظر: اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم، حمادي صمود : ٣٧٧، ط١، منشورات كلية الآداب ، منوبة، تونس، ١٩٩٨.

٥ . الحجاج في اللغة: ٦٥.

٦ . ينظر: رسائل الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة، دراسة حجاجية: ٩٨.

٢. روابط التَّساوق الحجاجيّ.
٣. روابط التَّعليل الحجاجيّ.
٤. روابط العطف الحجاجيّ.

ويمكن لنا جمع كلِّ رابطينِ بجُماعٍ واحدٍ؛ فروابط التَّعارض تلتحم مع روابط العطف، وروابط التَّساوق تلتحم مع روابط التَّعليل؛ فالتَّعارض يشبه إلى حدٍّ ما العطف، وكذا التَّساوق إن لم يكن هناك تساوق؛ فلا تعليلَ.

المبحث الأوّل

رابطا التَّعارض والعطف

روابط الكلام تكون عادةً حروفًا، ومن النُّدرة أن تكون كلمات، ومن هذه الرَّوابط الموجودة في خطبة السَّيّدة الزهراء:(لكِنْ، بلْ، مع ذلك، حتَّى، لا سِيما، لا من شيءٍ، بِلا، لا، إلَّا، ف+ الفعل، فإنَّه إنَّما، يا النِّداء)، وغيرها.

ومعظم ما ذكرنا من روابط موجود في خطبة سيّدة النِّساء "عليها السَّلام"، وسنبدأ بها تباعًا، وبحسب ورودها في الخطبة:

لا من شيء/ بلا

هذان التَّعبيران يردان عادة في الاعتراض الجُملي؛ لتقوية الحجة أو توضيحها؛ فالجملة الاعتراضية لابدَّ لها من اتِّصال بما وقعت معترضة فيه، ألا تراك لا تقول مكة وزيد أبوه قائم خير بلاد الله؟.

وهي تأتي لإفادة الكلام تقويةً، وتسديدًا، أو تحسينًا، هذا هو الأصل في هذا الرابط(تقوية الكلام)؛ من ذلك قولها "عليها السَّلام":(ابتدع الأشياء ـ لا من شيءٍ كان قبلها)، و(وأنشأها بلا احتذاءِ أمثلة امْتثلها).

فالزَّهراء "عليها السلام " في خطبتها هذه جاءتْ محتجَّةً على الخليفة أبي بكر ومن والاه؛ فلا بدَّ من وجود رابطٍ للكلام يقْوى به؛ ابتدع الأشياء، أوجدها من غير شيءٍ مسبوق قبلها؛ لذا يقال(بديع السماوات والارض)، وهي من الصِّفات الجلاليَّة الخاصة بربِّ العزَّة، وأمَّا الإنشاء بلا احتذاء؛ أي: بلا مثيل يُخلق مشابهًا له.

وقد عطفت " عليها السلام" على المُماثل(الإبداع والإنشاء)؛ إذ لا فرق بينهما من النَّاحية الاصطلاحيَّة، وكذا الملا صدرا لم يفرِّقْ بينَهُما[١].

فهي " عليها السلام" ذكرت هذين الأمرين تأكيدًا وتقويةً للكلام؛ فالله ابتدع و(أنشأ)، (لا من شيءٍ) و(بلا)(احتذاءٍ) أو (أمثلة).

وقد اتَّضح المعْنى وبان وقويَ من المعترضات(الرَّوابط) الحجاجية الآنفة، فهي التي حرّكتِ المعنى ونظَّمته بين المترادفات، وهذا الأمر يعطي زخمًا معنويًّا للمتلقِّي، يجعل منه عارفًا بأُصول الدِّين التي تدافع عنها(الإمامة)، والله الخالق المبتدع المنشئ أصله.

إلَّا أنَّنا لو نظرنا إلى الأدوات الرَّابطة هذه، وأعني بها(لا من شيءٍ، بلا) في قولها "عليها السلام":(ابتدع الأشياء ـ لا من شيءٍ كان قبلَها)، و(وأنشأها بلا احتذاءِ أمثلة امتثلها) بلحاظ التَّمييز بين ما يسمَّى بالرَّوابط الحجاجيَّة، وبين ما يسمَّى بـ(العوامل الحجاجيَّة) على وفق ما أدرجه ديكرو في مفهوم العامل الحجاجيّ، للزم أن يكون(لا من شيءٍ، وبلا) عامِلي حِجاجٍ، وليس رابطَي حجاج؛ لأنَّهما جَاءا في الكلام لا للرَّبط بين حجَّتينِ(أو أكثر) على ما يظهر في التَّركيب، بلْ جاءا على شكل أدواتٍ وظيفتها حصر الإمكانات الحجاجيَّة وتقييدها بعد أن يتمَّ الإسناد فيها[٢]، أي إنَّ السَّيّدة الزَّهراء "عليها

---

١ . ينظر: الحكمة المتعالية: ٢/٢٢١، ٣٦٢، ٣/٧، ٥/١٦١.

٢ . ينظر: اهم نظريات الحجاج من ارسطو الى يومنا هذا: ٣٧٧.

السَّلام" جاءتْ بـ(لا من شيءٍ) بعد أن تمَّ إسناد الكلام في قولها:(ابتدع الأشياء لا من شيءٍ قبلها)؛ فالجملة أسند فيها ابتداع الأشياء إلى الضمير المستتر في الفعل(ابتدع)، وهو عائد على الله "عزَّ وجلَّ"، كما أنَّ لفظ(الأشياء) وهي(المفعول به)، والتي أسند إلى الله ابتداعها فيما توحيه من الإطلاق والتَّعميم؛ يقوّي معنى القول حجاجيًّا دون أن يقتصر فعل الابتداع على جنسٍ دون آخر؛ لأنَّ الأشياء تشتمل على كلِّ ما هو موجود في السَّماواتِ والأرضين.

فعبارة (لا من شيءٍ) وجب أن نعدَّها من (العوامل الحجاجيَّة) لا من الروابط؛ لأنَّه لم يربط بين قولين، ولم يتعلَّقِ القول فيها بين ما قبلها وما بعدها بتساوقٍ أو نقيضه؛ وإنَّما جاءت تحديد معنى ابتداع الأشياء وتوكيده، بأنَّه لا من شيءٍ كان أو سبق قبلها . أي بلا احتذاءٍ واقتداءٍ . وبمعنى إيجاد الشَّيء بغير آلة ولا زمان، ولا مكان، وليس ذلك إلَّا لله[1]، وهنا يكمن الحصر والتَّقييد، ولو تنبَّه القارئ لفِعْلِ(الابتداع) لرأى أنَّ السَّيِّدة المعصومة "عليها السلام" لم تقلْ:(أبدع الأشياء لا من شيءٍ قبلها)، واستعملتِ الفعل(ابتدع)، لتؤكِّد على لسان لغتها ولغتهم أنَّها تقدِّم الحمد والثَّناء لله بهذه الصُّورة المُتقنة في التَّعبير؛ تمجيدًا منها بوحدانيَّته، وثقةً منها بالخطاب الذي تروم محاججتهم به؛ لذلك ترى الخطاب قويًّا مُوجَّهًا عن عزم وقوَّة على الرَّغم ممَّا يختلج نفسها من حزن والْتياعٍ على واقع القوم المنكر لما أفنى أبوها حبيب الله حياته في سبيله؛ وهو إرساء دعائم الشَّريعة والدِّين التي يحاولون تأويلها بشكلٍ ملتوٍ يتلاءم مع أهوائهم ومصالحهم الدنيوية؛ ليوشج قولها في بنيته اللغويَّة والصَّرفيَّة والإسناديَّة لحمة القول في سلسلة خطابها الحجاجي؛ ويقوّي الحجة ويقيد الإمكانات فيها؛ في أنَّ الله ابتدع الأشياء مطلقًا.

إذًا فمما أنتجته نظريَّة الحجاج في اللغة، ذلك الفرق بين الرَّابط والعامل الحجاجيّ غير أنَّ كليهما يشترك في كونه مؤشِّرًا لغويًّا لا يعطي معنًى معيَّنًا دون أن يكون داخلًا في منظومة القول الحجاجيّ.

ثُمّ حرف عطف يقتضي ثلاثة أمور: التَّشريك في الحكم، والتَّرتيب، والمُهلة، والمُهلة أكثر، جاء في كلام سيِّدة النِّساء "عليها السَّلام":(وأطلع الشَّيطانُ رأسهُ من مغرزِه هاتفًا بكم فألفاكُم لدعوتِه مُستجيبين، وللغِرَّة فيه مُلاحظين، ثمَّ استنهضكُم فوجدكم خفافًا، وأحمشكم فألفاكم غضابًا)[2].

جاء الرَّابط الحجاجيُّ(ثمّ) للمُهلة والتَّرتيب؛ فكلا المعْنيينِ مُرادان فيه؛ فبادِئ ذي بَدءٍ (أطلع الشيطان) من جحره وموطن دخوله في مغرز النَّفس البشريَّة غير المحصَّنة، فـ(هتف) بها؛ أي: النَّفس لما يدعو إليه الشَّيطان الرَّجيم ترتَّب على هذه الدَّعوة استجابةً من هذه النُّفوس المظلمة والخاوية التي كانتْ مسرعة لإرادة الشَّيطان الرَّجيم؛ أفدنا ذلك من كثرة تناوب حروف العطف؛ فتناوبها يدلِّل على السُّرعة؛ فكان (الاستنهاض) بعد مدَّةٍ من الزَّمن؛ تحصّل ذلك من الرَّابط(ثمَّ) الذي دلَّنا على هذا الأمر.

ونتأمل الأمر: بداية (أطلع) فـ(هتف) فـ(ألفاكُم)، فـ(ملاحظين)، وبعد مدَّة ليستْ بالقصيرة(حصل الاستنهاضُ)، وهو أمر عمليٌّ فعليٌّ عكس الأمور السَّابقة التي هي أمور نظريَّة تجريبيَّة؛ فالرَّابط (ثُمَّ) أوحتْ لنا الزَّهراءُ "عليها السَّلام" بهِ أنَّ هناك مقدِّمات لقضيَّة الاستنهاض ضدّها، ونهبِ تراثها، وهو الاستعداد النَّفسيُّ لهؤلاء القوم، وهذا ما تطلّب مدَّةً من الزَّمن ومهلةً.

لكن

---

١ . ينظر: مفردات الفاظ القرآن ، للراغب الاصفهاني: ١١٠، ١١١.

٢ . الاحتجاج: ١٤٤/١، البحار: ٣٠٢/٢٩، وما بعدهما.

وفى معناها ثلاثة أقوال:

أحدها: وهو المشهور: أنَّه واحد، (الاستدراك)، وفسّر بأن تنسب إلى ما بعدها حكمًا مخالفًا لحكم ما قبلها، ولذلك لا بدَّ أن يتقدَّمها كلامٌ مناقضٌ.

والثاني: أنَّها ترد تارة للاستدراك وتارة للتَّوكيد، قاله جماعة، وفسَّروا الاستدراك برفع ما يتوهَّم ثبوته نحو: ما زيد شجاعا، لكنَّه كريمٌ؛ لأنَّ الشَّجاعة والكرم لا يكادان يفترقان، فنفي أحدهما يوهم انتفاء الآخر، و ما قام زيد، لكنَّ عمرًا قام؛ وذلك إذا كان بين الرَّجلين تلابس أو تماثل في الطَّريقة، ومثَّلوا للتَّوكيد بنحو: لو جاءني أكرمتُه لكنَّه لم يجئْ؛ فأكَّدت ما أفادته(لو) من الامتناع.[١]

والثالث: أنَّها للتَّوكيد دائمًا مثل إنَّ، ويصحب التَّوكيد معنى الاستدراك.

وقد وردتْ في خطبة الزهراء "عليها السَّلام":(ألا وقد قلتُ ما قلتُ على معرفة منِّي بالخَذلةِ التي خامرتكُم، والغَدرةِ التي استشعرتْها قلوبُكم، ولكنَّها فيضةُ النَّفس ونَفثةُ الغيظ).

الزَّهراء "عليها السَّلام" أرادتْ أن توضِّح للمتلقِّي، وللمستمع آنذاك معرفتَها بالنُّفوس؛ فهي قالتْ الذي قالتهُ(على معرفةٍ)، من خذلان خامر نفوسهم المريضةَ، واستعملت "عليها السلام" مادة (المخامرة)، لتدلَّ على أمرينِ:

١ـ تمام الاختلاط، اختلاط نفوسهم بالباطل.

٢ـ معرفة ما يعتري النَّفس من بواطن الأمور وخفاياها.

وهما أمرانِ متوازيانِ يسيرانِ متحاذيينِ؛ لتدلّنا على معرفتها بالنفوس، ومِن ثَمَّ عصمتها التَّشريعيَّة، والمكتسبة التي تتيح لها ذلك؛ فالمعصومُ هو الوحيد الذي يعلم ما هي خوالج النفس.

والمتأمِّل لكلام السَّيِّدة الطَّاهرة "عليها السَّلام" يدرك أنَّ خطبتها في جملتها عبارة عن خطاب حجاجيٍّ موجَّه، وهو يتضمَّن في مفاصله مجموعة من الخطابات؛ ففي قولها:(ألا وقد قلتُ ما قلتُ على معرفة منِّي بالخَذلة التي خامرتكُم، والغَدرةِ التي استشعرتْها قلوبُكم، ولكنَّها فيضةُ النَّفس، ونفثةُ الغيظ) يدرك أنَّ هذا القول بحدِّ ذاته يشبه الخطاب في شموليَّته وسعته وتجاوزه لمستوى الكلام بوصفه جملةً من خلال ختامها الخطاب الأكبر المتمثِّل بالخطبة بجملتها بـ(ألا) للتَّنبيه على أنَّ كلامها انتهى ولكن بتركيبٍ أجملتْ فيه القول بأنَّها خاطبتهم على (معرفة) . وهي كما نعلم أقوى من (العلم) مرتبة وهي من صفات أهل الرِّسالة المعصومين، بالخذلة التي خامرتهم وخالطتهم، والغدرة التي (استشعرتها) قلوبهم، وفي صيغة الفعل (استشعر) ما يدلُّ على (الاعتقاد والرأي) على ما يبدو؛ لأنَّهم اعتقدوا برأيهم على الخذلان وأخذو به؛ لذلك استدركت السَّيِّدة بالرَّابط (لكن)؛ وكأنَّها قد أدركت أنَّ اعتقادهم ورأيهم اجتمعَا على الخذلة ونقض العهد؛ فالاستدراك هنا جعل من الخطاب مدعومًا بقولٍ أقوى يؤكِّد ما تقدَّم في خطبتها من حججٍ دامغة؛ وذلك بأنَّ ما قالتْه لم يكن مجرَّد إبطالِ دعوى حرمانِها من فدك فحسب، بل هو مشروع تأكيد لما جاء به التَّشريع الإلهيُّ في كتابه المُنزل؛ ليكون أشبه بمرافعة قضائيَّة أدلتْ بها الزَّهراء بأدلَّة وشواهدَ، ممَّا يعني أنَّ خطابها لم يكن لمجرَّد كونه نفثة غيظ أو فيضة نفس؛ بل إنَّ تعبيرها "عليه السَّلام" إن دلَّ على شيءٍ فإنّما يدلُّ على مدى صدق دعواها لو قِيسَ بمقياسٍ نفسيٍّ ، ولاسيَّما أنَّ هيأة الخَطيب وحالته وطريقة كلامه تعدُّ من شروط الاستراتيجيَّة الحجاجيَّة في الخُطب، وهي ممَّا يدخل في منظومة اعتبار الخطابة حجاجيًّا.

---

١ - ينظر: مغني اللبيب ٣٨٣/١.

وهكذا أصبحتْ خُطبتها "عليها السَّلام" خطابًا قويًّا كان وما زال يتردَّد على لسان التَّأريخ، يمتدُّ بسطوته حاملًا معه حجيَّته الشَّرعيَّة وأدلَّته اللغويَّة التي تعضِّد موقف الزَّهراء الرِّساليّ، وهو ما يؤكد وجود (العموميَّة، والتَّدرجيَّة، والنِّسبيَّة) تلك التي تسمَّى بالمبادئ الحجاجيَّة والتي تضمن سلامة العمليَّة الحجاجيَّة، وتؤكِّد قيام العلاقة الحجاجيَّة[١].

بَلْ حرف إضرابٍ، فإن تلاها بجملةٍ كان معنى الإضراب إمَّا الإبطال، وإمَّا الانتقال من غرضٍ إلى آخر[٢].

وقد وردتْ في خطبة الزهراء مرَّاتٌ ثلاث:(سبحانَ الله ما كان أبي رسول الله صلَّى الله عليه وآله عن كتاب الله صادفًا، ولا لأحكامه مخالفًا! بلْ كان يتبع أثره، ويقفو سوره)[٣]،(كلَّا بلْ سوَّلت لكم أنفسكُم أمرًا؛ فصبرٌ جَميلٌ واللهُ المُستعان على ما تصِفون)[٤] .

الثاني: اقتباس من كلام الله عزّ وجل في سورة يوسف "عليه السلام" الآية(١٨).

الثالث: كلا بلْ ران على قلوبكُم ما أسأتُم من أعمالكُم.

أمَّا الأوَّل فقد بدأت سلام الله عليها بالتعجُّب(سبحان الله) من كلام أبي بكر الذي نفى أن يكون هناك شيءٌ من هذا من أنَّ الرَّسول "صلَّى الله عليه وآله" غير عارفٍ أو أنَّه لا يطبِّق أحكامه، وقدِ استدلَّتْ بمجموعٍ من آيات الله استدلَّت بها على وجوب التَّوريث، وأنَّه لا يمنع كونها بنت نبيٍّ أن ترث أباها![٥]،(بلْ كان يتبع أثره، ويقفو سوره) جاءتْ (بلْ) هنا لإبطال مقولة أبي بكر(نحنُ معاشِرَ الأنبياء لا نورِّث ما تركناه صدقة)[٦]فردَّ على الله قوله:(وَوَرِثَ سُلَيمَانُ دَاوُدَ)، وقولَه:(فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يرِثُنِي ويرِثُ مِنْ آلِ يعقُوبَ واجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا)[٧].

وخصَّص عمومَ قوله تعالى:(لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا)[٨]، وقوله تعالى:(وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ)[٩]، وقصد بذلك منع سيِّدة نساء العالمين "عليها السلام" ميراثها من أبيها(صلَّى الله عليه وآله) مع ما بيَّناه من إيجاب عموم القرآن ذلك، وظاهر قوله تعالى:(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ)[١٠].

الإشكال أكبر ممَّا تدركه العقول البسيطة؛ لأنَّه جعل الصدِّيقة الطَّاهرة(عليها السَّلام) في معنى القاتلة الممنوعة من ميراث والدها؛ لجُرمها، والذمَّيَّة الممنوعة من الميراث؛ لكفرها، والمملوكة المسترقَّة الممنوعة من الميراث لرقِّها، فأعظمَ الفِريةَ على الله عزَّ وجلَّ، وردَّ كتابه، ولم تقشعرّ لذلك جلودُكم، ولا أبته نفوسُكم!!!.

فكلامُها إبطالٌ لأكذوبته؛ مستعملةً حرف الإبطال(بلْ).

---

١ . ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، د. حافظ اسماعيلي علوي: ٦٥.

٢ . معاني الحروف للرماني: ٧١، مغني اللبيب: ١/١١٢،.

٣ . الاحتجاج: ١/١٤٤، البحار: ٢٩/٣٠٢.

٤ . الاحتجاج: ١/١٤٤، البحار: ٢٩/٣٠٢.

٥ . الاحتجاج: ١/١٤٤، البحار: ٢٩/٣٠٢.

٦ . ينظر: المسائل الصاغانية: ٩٩.

٧ . مريم: ٥. ٦.

٨ . النساء: ٧.

٩ . النساء: ١٢.

١٠ . النساء: ١١.

المبحث الثاني

رابطا التَّساوق والتَّعليل

إن لم يكن هناك تساوق فلا تعليلَ، وخطبة السَّيِّدة الزهراء "عليها السَّلام" ملأى بالتَّعليلات المتساوقة، وهذه التَّعليلات تحتاج إلى روابط حجاجيَّة دَقيقة، بربط فنِّيٍّ دقيق يجعل من المتلقِّي مُقتنِعًا بالكلام، ومن الرَّوابط الحِجاجيَّة في خطبتها "عليها السَّلام":

حتّى حرف للغاية، وللتَّعليل، وبمعنى (إلَّا) في الاستثناء، وهو يخفض ويرفع وينصب؛ ولهذا قال الفرَّاء: أموت وفي نفسي من حتَّى شيءٌ[١]، قال ابن هشام:(حرف يأتي لأحد ثلاثة معانٍ: انتهاء الغاية، وهو الغالب، والتَّعليل، وبمعنى إلّا في الاستثناء، وهذا أقلُّها)[٢].

وقد ذكر ديكرو أنّ(الحجَّة المربوطة بواسطة هذا الرَّابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجيَّة واحدة؛ أي إنَّها تخدم نتيجةً واحدة، والحُجَّة التي ترد بعد هذا الرَّابط تكون هي الأقوى؛ لذلك فإنَّ القول المشتمل على الأداة "حتَّى" لا يقبل الإبطال والتَّعارض الحِجاجيَّ)[٣] .

ومن ورودها في الخطبة الفدكية:(يكسرُ الأصنام، وينكثُ الهام، حتّى انهزم الجمعُ، وولّوا الدُّبر، حتّى تفرَّى الليل عن صُبحه، وأسفرَ الحقُّ عن محضِه)[٤] .

وقد وردتْ في هذين الموضعين لانتهاء الغاية، وتكون مرادفة لـ(إلى)؛ لكنَّها أعمُّ من(حتَّى)[٥] ، ونتيجة لكسر الأصنام، ونكث الهام، (انهزم الجمع وولَّوا الدُّبر)، و كذلك(تفرَّى الليل عن صبحِه) و(أسفرَ الحقُّ عن محضه).

فالانهزام، وتولية الدُّبر، و تفرِّي الليل عن صبحه، وإسفار الحقِّ عن محضه؛ تعدُّ نتائجَ، وهي في كلِّ الأحوال تخدم نتيجةً واحدة، وتبقى الحُجَّة التي ترد بعد (حتَّى) هي الأقوى حجاجيًّا[٦].

أقول: إنّ حقيقة مفهوم حتّى: إيصال الحكم السَّابق إلى مدخوله، وهذا معنى حرفيٌّ غير مستقلٍّ سواء كان من الجارّة أم العاطفة، والفرق بينهما من جهة المعنى: أنّ الحكم السَّابق يتعلَّق على ما بعده مستقلًّا في العطف كما يتعلَّق على ما قبله، وأمّا في الجرّ: فهو لإيصال الحكم إلى المجرور وحسب، وليس للحكم تعلُّقٌ عليه مستقلًّا.

ثمّ إنّ حتّى لإلحاق موضوع ضعيف بالنِّسبة إلى تعلَّق الحكم عليه إلى ما سبق، سواء كان الموضوع في نفسه قويًّا أو ضعيفًا؛ فيقال: مات الناس حتّى الأنبياء – فانَّ نسبة الموت إلى الأنبياء وتعلَّقه عليهم ضعيفة وبعيدة، وإن كانوا بالنِّسبة إلى النَّاس أقوياء.

بعد ذلك تأمَّلْ في المعنى المُراد من قولها "سلام الله عليها ".

ومن ذلك قولها "عليها السلام":(حتَّى إذا دارت بنا رُحى الإسلام، ودرّ حلب الأيَّام، وخضعت ثغرة الشِّرك، وسكنتْ فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، .....فأنَّى حِرتُم بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلان).

---

١ . ينظر: القاموس المحيط: ١٤٦/١، تاج العروس: ٣٦/٣.

٢ . مغني اللبيب: ١٢٢/١

٣ . اللغة والحجاج: ٢٧.

٤ . الاحتجاج: ١٣٥/١، البحار: ٢٢٤/٢٩، ٢٦٤.دلائل الامامة: ١١٤

٥ . ينظر: كتاب سيبويه: ٢٣١/٤.

٦ . الروابط الحجاجية في رسائل الامام الحسن " عليه السلام" أ.د عبد الاله العرداوي: ٧.

فـ(حتَّى) حرف ابتداء يجرّ الجمل،(أن تكون حرف ابتداء، أي حرفا تبتدأ بعده الجمل، أي تستأنف، فيدخل على الجملة الاسميَّة، ..... وعلى الفعلية التي فعلها ماضٍ نحو(حتَّى عفوا وقالوا)، وكذا قال في حتَّى الدَّاخلة على إذا في نحو:(حتَّى إذا فشلتُم وتنازعتُم) إنَّها الجارَّة، وإنَّ إذا في موضع جرٍّ بها)[١].

فيكون معنى كلامها " سلام الله عليها" : في بداية دوران رحى الاسلام، ودر حلب الأيّام، وخضوع ثغرة الشرك، و، و، و وترتّب عليه حيرة بعد بيانٍ ووضوح، وسرّ بعد إعلان، وهكذا؛ فابتداءً صار ما صار ترتّب عليه ما ذكرنا من أمور.

يمكننا القول إنّ السَّيّدة الزهراء باستعمالها(حتَّى) استطاعت وبأسلوبٍ بليغٍ أن تعرض مسلسل الأحداث التي مرَّ بها الإسلام منذ نزول الوحي، وحتَّى انتهاء استتباب أمر الرِّسالة المحمديَّة، وقيام دولة الإسلام وإرساء دعائمها؛ حتَّى إنَّ القارئ لخطبتها يمكنه أن يستنبط أمورًا تاريخية تجلَّتْ من وراء قدرة السَّيّدة المعصومة على مخاطبة القوم بالحقيقة الجليَّة التي يعرفونها تمام المعرفة، وينكرونها؛ لذلك أقبلت "عليها السَّلام" بتوجيه الخطاب اليهم حِجاجًا على الموقف الذي تبنُّوه ضدَّها؛ لذلك كان للأداة (حتَّى) وقعًا حِجاجيًّا بارزًا في تقوية الحُجَّة بالدَّليل.

الفاء وفيها أنواعٌ: التَّرتيب، والتَّعقيب، والسَّببيَّة[٢]، وهي التي ما بعدها لازم لما قبلها، وعلى أيَّة حالٍ؛ فهي كيف ما وجدت فهي للتَّشريك في الحكم والمُتابعة.

وقد وردتْ في خطبة السَّيّدة الزهراء "سلام الله عليها" على اختلاف أنواعها؛ من ذلك قولها:(ابتعثَه الله إتمامًا لعلمه، وعزيمةً على إمضاء حكمه، فرأى الأمم فِرقًا في أديانها، عُكَّفا على نيراها، عابدةً لأوثانها، منكرةً لله مع عرفانها، فأنار الله بمحمَّد ظُلمَها، وفرَّج عن القلوب بُهمَها، وجَلا عن الأبصار عَمهَها)[٣].

تبدأ " سلام الله عليها" خطبتها بفعل المطاوعة(ابتعث) الذي قَبِلَ الأثر؛ فكان في أمرين(الإتمام، والعزيمة)، وفيه إشارة إلى قول الرَّسول "صلَّى الله عليه وآله"(إنَّما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[٤] ، وقد جعلتِ العلم مساوقا لمكارم الاخلاق؛ فالعلم هو هو مورد الأخلاق، والعكس صحيح.

وأمَّا العزيمة فالتَّكليف الذي لا يسقط[٥]، وبعد هذا الإتمام، والتَّكليف الذي لا يسقط(العزيمة)، جاء التَّرتيب بـ(الفاء) الرؤية التي كانت فِرقًا في غابر أزمانها وأديانها، فمنها من عبد النِّيران، وهم المجوس، وآخرون عبدوا الأوثان، الذين يرونها تقرِّب إلى الله زُلفى[٦].

ترتّبَ على هذين الأمرين(إتمام الأخلاق) و(التوحيد)؛(فأنار الله بمحمَّد ظلمَها، وفرَّج عن القلوب بُهمَها، وجَلا عن الأبصار عَمهَها)، ترتَّب عليه الإنارة الإلهيَّة بالرَّسولِ الذي فرَّج غمَّ القلوب، وجَلا نورَ الأبصار.

والملاحظ إنَّ ارتباط السَّبب بالنَّتيجة قد أفادته(الفاء) التي كان ما بعدها لازمًا لما قبلها[١]؛ فالفاء بوصفها رابطًا حجاجيًّا، أوحتْ لنا بهذا التَّرتيب الذي تعجز عنه رابطةٌ غيرها.

---

١ . مغني اللبيب: ١٢٩/١.

٢ . مغني اللبيب: ١٦٣.١٦١/١

٣ . دلائل الامامة: ١١٢، الاحتجاج: ١٣٣/١، البحار: ٢٢٢/٢٩.

٤ . سفينة البحار:٢ / ٦٧٦ ، مجمع الزوائد: في حسن خلقه وحيائه وحسن معاشرته (النبي(صلى الله عليه وآله):٩ / ١٥.

٥ . ينظر: مصباح الاصول: ١٠٣/٤٨.

٦ . قال تعالى(أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ). الزمر/٣.

اللام للام أنواعٌ؛ فمنها للجرّ، وأُخرى للجزم، وغير عاملة، والكُوفيون أَضافوا النَّاصبة[٢].

وقد وردتِ اللام في كلامها "سلام الله عليها" من ذلك:(الحمد لله على ما أنعم، وله الشُّكر على ما ألهم..... وندبهم لاستزادتِها بالشُّكر لاتِّصالها)[٣].

وردت في هذا المقطع من كلامها لاماتٌ:(له الشُّكر)و(لاستزادتها، لاتِّصالها)، وفي الرَّابط الحجاجيّ الأوَّل(له) اللام هنا للملك، أيْ: الشُّكر ملكٌ لله وحدَه، والدَّليل أنَّ الذي يعمل لك عملًا تقول له وتشكره يقول لك: الشُّكر لله.

أو للاستحقاق؛ أيْ: الشُّكر مستحقٌّ لله تعالى[٤]، وتَسويغ وجود هذا الرَّابط الحجاجيّ هو للتمهيد إلى المقولة الإقناعيَّة التي تريد أن تبدأَ بها؛ وربَّما عادة من عادات العرب إذا أرادوا أن يبدؤوا الكلام ابتدؤوا بالتَّحميد لله، والشُّكر له.

أمَّا المقطع الثَّاني(لاستزادتها، لاتِّصالها) اللام هنا تعليليَّة، فالنُّدبة التي هي النِّداء المتكرّر[٥] مع الصَّوت؛ وهذا النِّداء المتكرّر سببه أو قلّ علّته للاستزادة وللاتِّصال، وفيهما تضمين لقوله تعالى:(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)ابراهيم/٧. علاوةً على ما في الندب هنا من الدعوة والأمر بالاستزادة.

وقد أجرته مجرى العلَّة؛ والمعلوم والسبب والمسبّب؛ فقد ربط الله الاستزادة بكميَّة الشُّكر[٦].

الخاتمة

بعد هذه الجولة مع خطبة السيدة الزهراء، واستكناه الروابط وأثرها في احتجاجها، نصل إلى الآتي:

. مهّد البحث الى الحديث عن الحجاج وأثره في الفكر.

. تحدث البحث عن الروابط الحجاجية، وبين أنواعها وأثرها.

. فرّق البحث بين الروابط الحجاجية والعوامل في لفظ من الالفاظ المشهورة؛ بكونه رابطًا وقد بينا كونه عاملًا لا رابطًا.

. حصلت في هذا البحث دراسة تطبيقية لأهم الروابط المستعملة في خطبة سيدة النساء، وقد بينت معناها قدر المستطاع.

والحمد لله أولا وآخرا

---

١ . انظر: بعدها(فمحمد من تعب) و(فجعل الله الايمان تطهيرا) و(فإنه إنما يخشى الله) و(فبلغ بالرسالة) و(فأنقذكم الله)، وغيرها.

٢ . مغني اللبيب: ٢٠٧/١.

٣ . الاحتجاج: ١٣٢/١، البحار: ٢٢١/٢٩.

٤ . مغني اللبيب: ٢٠٨/١.

٥ . اللسان: ١٤١/٢.(ندب)

٦ . وقد وردت لامات في الخطبة منها (ولنعم المعزيّ) و(لدعوته مستجيبين) و(بلى تجلى لكم)، وغيرها

ثبت المصادر و المراجع

ـ القرآن الكريم

- الاحتجاج: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي(ت٥٦٠هـ)، تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخرسان منشورات طبع في مطابع النعمان النجف الأشرف.
- بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي " قدس الله سره " (ت١١١١هـ)، تحقيق الشيخ عبد الزهراء العلوي، دار الرضا بيروت – لبنان.
- بلاغة الاقناع في المناظرة: د.عبد اللطيف عادل، ط١، منشورات ضفاف ، ٢٠١٣م.
- تاج العروس من جواهر القاموس: محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني ت١٢٠٥هـ)، المجلد الأول باب الهمزة (أ – ي) باب الباء (أ – ذ) دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت .
- التعريفات: علي بن محمد بن علي ، الشريف الجرجاني(ت٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٨٣م.
- تناوب حروف العطف في خطب الحرب عند أمير المؤمنين، دراسة دلالية: د. مهدي سلمان، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد٣/ ٢٠١٣م.
- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد الازدي(ت٣٢١هـ)، عني بتصنيفه كرنكو.
- الجنى الداني في حروف المعاني،: الحسن بن أم قاسم المرادي ت(٧٤٩هـ)، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٢م.
- الحجاج عند أرسطو: هشام الريفي، ضمن كتاب(أهم نظريات الحجاج، في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم بإشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون، سلسلة آداب مجلد ٣٩، ١٩٩٨م.
- الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي: حسين بو بلوطة، جامعة الحاج الأخضر، الجزائر، ٢٠٠٩م،.
- الحجاج في البلاغة المعاصرة، د. محمد سالم ولد الطلبة، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، ٢٠٠٨م .
- الحجاج في القرآن: عبد الله صولة، ضمن كتاب(أهم نظريات الحجاج)، في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون، سلسلة آداب مجلد ٣٩، ١٩٩٨م.
- الحجاج في اللغة ضمن كتاب(أهم نظريات الحجاج)، في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم: بإشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون، سلسلة آداب مجلد ٣٩، ١٩٩٨م.
- الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة العربية: حافظ اسماعيل علوي، ط١، عالم الكتب الحديث،٢٠١٠م.
- الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة: الحكيم الإلهي والفيلسوف الرباني صدر الدين محمد الشيرازي (ت ١٠٥٠هـ).
- دلائل الامامة: أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير (من أعلام القرن الخامس الهجري)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة، قم.
- رسائل الإمام علي "عليه السلام" دراسة حجاجية: رائد الزبيدي، أطروحة دكتوراه، آداب البصرة، ٢٠١٣م.
- الروابط الحجاجية في رسائل الامام الحسن" عليه السلام" : د. عبد الاله العرداوي، جامعة الكوفة، كلية التربية الأساسية، ٢٠١٥م.

- سفينة البحار، للشيخ عباس القمي، د. ط.
- شرح كافية ابن الحاجب : محمد بن الحسن بن رضي الدين الاستراباذي(ت٦٨٦هـ)، ، تحقيق يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس ، ليبيا، ١٩٧٨ م.
- شرح نبراس الهدى، في أحكام الفقه وأسرارها: الحكيم المتألّه والعارف الكامل المولى هادي السبزواري "قدس سره الشريف" (ت١٢٨٩ هـ- ق)، مراجعة وتحقيق محسن بيدارفر انتشارات بيدار، ايران.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد للجوهري(ت٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الكويت، ١٩٨٦م.
- فن الخطابة: ترجمة بدوي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط٢، ١٩٨٦م.
- القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادينا(ت ٨١٧هـ)، مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، ط ٢، بيروت، ٢٠٠٥م.
- كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور الأفريقي، منشورات دار صادر، بيروت.
- اللغة والحجاج: أبو بكر العزاوي، دار العمدة في الطبع، المغرب، ط١، ٢٠٠٧م.
- مأساة الزهراء عليها السلام شبهات وردود: العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي دار السيرة بيروت – لبنان.
- مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد : نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، بتحرير الحافظين: العراقي وابن جحر، بيروت ، لبنان، ١٩٨٨ م .
- المسائل الصاغانية: محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم أبي عبد الله ، العكبري ، البغدادي، الإمام الشيخ المفيد (٣٣٦ – ٤١٣ هـ) تحقيق : السيد محمد القاضي الطبعة : الأولى التاريخ : ١٤١٣ هـ ق الناشر : المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.
- مصباح الأصول(تقريرات لأبحاث الأستاذ الأعظم سماحة آية الله العظمى السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي "قدس سره" الأصول العمليّة): آية الله السيد محمد سرور الواعظ الحسيني البهسودي، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي.
- معاني الحروف: علي بن عيسى الرماني(ت٣٨٤هـ)، تحقيق د.عبد الفتاح شلبي، ط٣، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٤م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام، الأنصاري، المصري (ت٧٦١ هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قم – إيران ١٤٠٤ هـ – ق.
- نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب(أهم نظريات الحجاج)، في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم: إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون، سلسلة آداب مجلد ٣٩، ١٩٩٨م.
- نظرية اللغة الادبية: إيفانكوس، ترجمة حامد أبو حمد القاهرة، مكتبة غريب.